الشمس والقمر

آيات الله كثيرة ، ودلائل عظمته كبيرة ، وعجائب مخلوقاته بديعة ، في كل مخلوق له حكمة ، وفي كل شيء له آية ، آيات تنطق بالعظمة ، وتنبيء بالقدرة ، وتشهد بالوحدانية : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾ [فصلت : ٣٧] .

فالشمس والقمر آيتان عظيمتان ، ومخلوقان بديعان ، سخرهما الله تعالى لحكم عظيمة ، وأسرار عديدة ، وفوائد جمّة .

﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [يونس : ٥] .

وقد أحكم الله تعالى خلقها ونظم سيرها فهي في حركة دائبة ، وسير منتظم : ﴿ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ [يس:٤٠].

لو اقتربت الشمس إلى الأرض درجة واحدة لأحرقت كل ما في

الأرض ، ولو ارتفعت درجة واحدة لتجمد كل ما في الأرض ، ولو كان القمر يبعد أقل من بعده الحالي لكان المد والفيضان يبلغ من القوة بحيث يغمر جميع الأرض مرتين في اليوم بماء متدفق يزيح الجبال .

تبعد الشمس عن الأرض حوالي ١٤٩ مليون كيلو متر تقريباً . هذه الشمس التي نراها ضئيلة صغيرة تكبر الأرض بآلاف المرات ، يقول العلماء : يمكنك أن تحشو الشمس بمليون وثلاثمائة ألف كرة أرضية ، والشمس والقمر بعظمتهما وضخامتهما ما هما إلا جزءٌ من المجموعة الشمسية ، فالمجموعة الشمسية تتألف من الشمس والقمر وتسعة كواكب أخرى هي : عطارد ، والأرض ، والمريخ ، والزهرة ، والمشتري ، وزحل ، وأورانوس ، وبلوتو ، ونبتون . وكل هذه المجموعة وما تضمنته من نجوم وكواكب وأقمار ما هي إلا جزء صغير من المجرّة المسماة : درب التبانة ، بينما هنالك أكثر من عشرة آلاف مجرّة في هذا الكون .

والنجوم غاية في العجب والغرابة ، وهي عالم مهيب غريب ، وهي وإن ظننا أنها قريبة منا فإنها أبعد من الشمس بما لا يقارن ، وبعض النجوم الزرقاء يزيد ضوؤها على ضوء الشمس بعشرة آلاف ضعف ، وبعض النجوم يزيد ضخامته عن الشمس بمائة ضعف .

والنجوم ملايين مملينة بحيث لا يستطيع أحد مهما استخدم من المناظير أن يحيط بها ، وقد حاول بعض الفلكيين تقريب أعداد النجوم فقال : إن عدد النجوم يزيد على عدد حبات الرمال التي على شواطىء

بحار الدنيا : ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .

[يس : ٨٣]

فالشمس والقمر من آيات الله البديعة ومخلوقاته العظيمة ، وقد رصد العلم الحديث من أخبارهما ما يدهش العقول ، ويذهل النفوس فسبحان الخلاق العظيم : ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

أمـــــا تـرى ذا الـفـلـكَ الـدائـرا
أبـيـت مـن هـمٍ بـه سـاهـرا
مـفـكـراً فـيـه وفي أمـره
فـمـا أرى خَـلْـقـاً بـه خـابـرا
يـخـبـر عن لـطف تـدابـيـره
وكـيـف أضـحى للورى حـاصـرا
قـد ضل عـقـلي في تراكـيـبـه
وصـار قـلـبي والـهـاً حـائـرا

الشمس هي أهم شيء بالنسبة لحياتنا الفلكية ، فهي التي تمدنا بالضوء والحرارة ، وهي التي بتبخيرها لمياه الأرض تسبب سقوط الأمطار وهي التي بتسخينها لليابسة والبحار بدرجات مختلفة تسبب هبوب الرياح ، وهي التي تمد النبات بالغذاء ، وهي التي تمدنا بمصادر القوة ؛ لأن الخشب والفحم والبترول ومساقط المياه كلها تعتمد على الشمس ، وكل ذلك بإرادة الله تعالى وقدرته .

تأمل حكمته تعالى في طلوع الشمس على العالم ، كيف قدّره؛ فإنها لو كانت تطلع في موضع من السماء فتقف فيه ولا تعدوه لما وصل شعاعها إلى كثير من الجهات ؛ لأن ظل أحد جوانب الكرة الأرضية يحجبها عن الجانب الآخر ، فيكون الليل سرمداً على من لم تطلع عليهم والنهار سرمداً على من هي طالعة عليهم ، فيفسد هؤلاء ويفسد هؤلاء ، فاقتضت الحكمة الإلهية والعناية الربانية أن قدّر طلوعها من أول النهار من الشرق ثم لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى المغرب فتشرق على ما استتر عنها في أول النهار ، فتنتظم بذلك مصالح الناس وحياتهم .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [القصص : ٧٢] .

انظر إلى اللفتة الجميلة في الآيات : خص الليل بذكر السمع ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ لأن سلطان السمع يكون بالليل ويسمع فيه مالا يسمع في النهار لأنه وقت هدوء الأصوات وسكون الحركات ، وخص النهار بذكر البصر ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ لأن سلطان البصر في النهار أقوى من سلطان السمع .

من الاعتقادات الباطلة في الشمس والقمر أن بعض البشر قدسوهما حتى عبدوهما وسجدوا لهما من دون الله تعالى ، ومن الاعتقادات الباطلة أن أهل الجاهلية كانوا يظنون أن موت العظماء يؤثر على حركة

الكواكب وسيرها . فجاء الإسلام فبين أن الشمس والقمر مخلوقان من مخلوقات الله تعالى الدالة على عظمته والمؤكدة لوحدانيته ، وأن العبادة والسجود لا تكون إلا لخالقهما وموجدهما جل وعلا ، وبين ﷺ بطلان توهم بعض الناس من أن كسوف الشمس قد يكون بسبب موت أحد حتى ولو كان ابنه إبراهيم عليه السلام فقال ﷺ : «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل لا ينخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته ، فإذا رأيتموها فافزعوا إلى الصلاة» [انظر البخاري : ٣٢٠٢] .

وهكذا كان ﷺ حينما حدث الكسوف في زمنه فزع إلى الصلاة، وبادر إلى المسجد ، وأسرع إلى العبادة والدعاء والخشوع والانطراح بين يدي ربه جل وعلا ، فصلى صلاة عظيمة ، وخطب خطبة بليغة .

هكذا ضرب ﷺ لأصحابه المثل الأعلى فيما يجب أن يكون عليه المؤمن من خوف الله تعالى والحذرمن بطشه وعدم الأمن من عذابه ومكره ، فهو يرسل الآيات تخويفاً وتذكيراً ، ويبعث النذر تنبيهاً وتحذيراً ، لتحرك بها المشاعر ، وتُهز بها النفوس ، وتطرد بها الغفلة ، وتجلّى بها الغشاوة ، ويُتذكر بها المصير ، فإذا أمة اتخذت الآيات هزواً ، والنذر أموراً اعتيادية ، والحوادث وقائع طبيعية ، ينظر إليها للتسلية ، وتراقب للإعجاب ، وتوصد للذكرى ، وتكتب للتاريخ ، دون وجلٍ للقلوب ، أو ادّكار للنفوس ، أو عبرةٍ لأولي الألباب ، أو انطراح للعزيز الوهاب ، فقد أظلمت النفوس ، وماتت الضمائر ، وحنطت المشاعر ، وتبلدت الأحاسيس .

يجب على المؤمن أن يكون دائم الحذر ، شديد الخوف ، متيقظ المشاعر ، متوقد الأحاسيس ، يخشى بطش الله ، ويخاف عقوبته ، ويعتبر بآياته ، ويتنبه لنذره ، فإن من خاف الله في الدنيا أمنه الله يوم القيامة . يوم ترج الأرض رجاً ، وتبس الجبال بساً ، فتكون هباءً منبثاً . يوم تنثر الكواكب ، وتكوّر الشمس . يوم تدنو هذه الشمس من العباد قدر ميل ، فيبلغ العرق منهم كل مبلغ ؛ منهم من يبلغ إلى كعبيه ، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه ، ومنهم من يبلغ إلى حقويه ، ومن من يلجمه العرق إلجاماً .

فلنبادر بالتوبة الصادقة قبل أن يحال بيننا وبينها : ﴿ **يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا** ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، قال العلماء : بعض آيات ربك هو طلوع الشمس من مغربها . قال ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » [صحيح الجامع : ٧٤١١] .

هذه السموات العظيمة الهائلة بما فيها من شمس وقمر وكواكب ومجرات يطويها الجبار يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : « أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الله الأرضين ثم يأخذهن ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ » .

[رواه أبو داود : ٤٧٣٢]

العمـــل الصـــالح

العمل الصالح ميدان العاملين ، وسمة المؤمنين ، وديدن الموحدين لا يطمئنون إلا إليه ، ولا يتنافسون إلا فيه ، ولا يتسابقون إلا عليه ، يتفانون في حبه ، ويسابقون لكسبه ، ولا يحيدون عن دربه . المؤمن يعلم أن الإيمان عمل واعتقاد ، ويقين وجهاد ، وأنه قول باللسان ، وتصديق بالجنان ، وعمل بالأركان ، فلا يغتر بطول الأمل ، ولا يركن إلى العجز والكسل . ويعلم أن المؤمن القوي خير من الضعيف ، فهو مستعين بالله غير عاجز ، حريص على ما ينفعه غير غافل . يعلم أن الجنة حُفَّت بالمكاره ، وأن النار حفت بالشهوات ، وأن التميز والتفاوت هو بالتقوى وإحسان العمل ، قال تعالى : ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ [الملك : ٢].

الإيمان بلا عمل كالجسم بلا روح ، والشجر بلا ثمر ، وكالمفتاح بلا أسنان . فلا ينفع انتساب للإيمان بلا برهان ، ولا قيمة للدعوى بلا حقيقة ولذلك يقرن القرآن دائماً بين العمل والإيمان ، ليلفت نظر الإنسان أنه لا قيمة لإيمان بلا عمل ، ولا عمل بلا إيمان ، قال جل وعلا : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً** ﴾ [الكهف : ١٠٧] ، ﴿ **وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ**

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر].

إن تحديد مصير الإنسان يوم القيامة مبني على إحسان العمل أو إساءته ، إن أحسن فله الجنة مع الأبرار ، وإن أساء فماله إلا النار ، قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم : ١٥].

وقد أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى للمرسلين : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ .

[المؤمنون : ٥١]

وقال تعالى للمؤمنين : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج : ٧٧].

ما أعظم سرور المؤمن بأعماله ، وما أسعده يوم القيامة بأفعاله!! وما أشد ندامة المسيء ، وأعظم حسرة المفرط!! في موقف لا ينفع فيه الندم ، ولا تجدي فيه الحسرة ، ولا تغني فيه الدمعة . في موقف أمام رب الأرباب يوم يحشر الناس للحساب ، ويطيش الصواب ، ويوضع الكتاب ، قال تعالى : ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف : ٤٩].

قد يتصور بعض الناس أن الأعمال الصالحة حِمْلٌ شاق ، وأمر مرهق ،

وميدان ثقيل ، وأن لها أناساً لا يطيقها غيرهم ، ولا يتحملها سواهم ، فيعرض عن ميدانها ، ويصرف نفسه عن أفنانها . فالفقير يتصور أن فرصته في العمل محدودة ، ومحاولته مردودة ، وأن ذلك من شأن الأغنياء ، ومن حظ الأثرياء . والمريض يتصور أنه لا فرصة للعمل إلا مع الصحة ، ولا مجال لفعل الخيرات إلا مع العافية . والمقصر والمفرط والمتلبس ببعض المعاصي ، يظن أن ذلك عن فعل الخير حائل ، وأن ليس له من وراء بحثه عن العمل الصالح طائل . فالعمل عندهم وقف على الأولياء ، وقصر على الأتقياء ، وهذا كله أفق في غاية الضيق ، ودلالة على قلة التوفيق ، فالمجال مفسوح ، والميدان مفتوح ، والفرص كثيرة ، وأبواب الخير متعددة ، ومجالات البر متنوعة ، وكل يستطيع أن يأخذ منها بنصيب مهما كان حاله ، وأياً كان وضعه . فقيراً أو غنياً ، كبيراً أو صغيراً ، صحيحاً أو سقيما، قوياً أو ضعيفاً ، مجتهداً أو مقصراً .

قال جندب بن جنادة رضي الله عنه قلت يا رسول الله : أي الأعمال أفضل ؟ قال : « الإيمان بالله والجهاد في سبيله » ، قلت : أي الرقاب أفضل؟ ، قال : « أنفسها عند أهلها ، وأكثرها ثمناً » ، قلت: فإن لم أفعل؟ ، قال : « تعين صانعاً أو تصنع لأخرق » ، قلت : يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ ، قال : « تكفُّ شرَّك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك » [متفق عليه].

ما أعظمه من حديث ، وما أروعها من معانٍ تدل على عظمة هذا الدين وشموليته ويسره وسهولته!!!.

فجاهد نفسك ، وأخلص قصدك ، وراقب ربك ، وأحسن عملك واعلم أن أفضل الأعمال وأحبها إلى ذي الجلال أن تتقرب إليه بما افترض عليك ، وأن تؤدي ما أوجب عليك ، ثم تترقى بعد ذلك في درجات التقرب إلى الله ، والفوز برضاه ، حتى تنال محبته ، وتصبح من خاصته وذلك بالإكثار من النوافل ، وأولئك في الناس قلائل .

يقول ﷺ : « إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدي بشيءٍ أحب إليّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبَّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه » [رواه البخاري].

فيا لها من منزلة عظمى ، ودرجة عليا ، ومرتبة كبرى!! وفقني الله وإياكم لطاعته ، والفوز بمحبته ، وأن نكون من أهل خاصته .

وإليك هذا العرض لبعض أبواب الخير وسبل البر ، التي دلنا عليها أعظم الناس براً وأكثرهم خيراً ، وأسبقهم عبادة .

يقول ﷺ : « يصبح على كلّ سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمرٌ بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، ويجزىء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » [رواه مسلم].

وقال ﷺ : «كل سلامى من الناس عليه صدقة كلَّ يوم تطلع فيه الشمس : تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، ولك بكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة» .

[متفق عليه]

ويقول ﷺ : «عرضت عليّ أعمال أمتي حَسَنُها وسيئُها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق» [رواه مسلم].

وأخبر أن امرأةً بغياً من بني إسرائيل غفر لها بسبب سقيها لكلب كاد يموت من العطش .

ويقول ﷺ : «لا يغرس المسلم غرساً فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة» [رواه مسلم].

ويقول ﷺ : «أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز ، ما من عامل يعمل بخصلةٍ منها رجاء ثوابها وتصديق موعدها إلا أدخله الله بها الجنة» [رواه البخاري].

ويقول ﷺ : «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب» [رواه مسلم].

بل إنّ الأكل والشرب قد يكون من أعمال الخير ويثاب عليه الإنسان: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة، أو يشرب الشربة فيحمده عليها» [متفق عليه]، «فاتقوا النار ولو بشق تمره» [رواه الترمذي].

اللهم وفقنا إلى صالح الأعمال والأقوال.. إنك سميع مجيب،،

الموت

الموت ، الموت ، الموت .. لفظ مخيف ، وعنوان مزعج ، ونبأٌ مفزع ، وخبرٌ مذهل ، وشبحٌ مبهر ؛ الموت هو المصير المحتوم ، والأجل المكتوب ، والغائب المرهوب ؛ هو إعلان الخاتمة ، ونذير النهاية ، هو المشهد الأول من مشاهد الآخرة ، والمحطة الأولى من محطات الأمم المسافرة . قَصَمَ الله به رقاب الجبابرة ، وكَسّر به ظهور الأكاسرة ، وقَصّر به آمال القياصرة ، ونقلهم من القصور إلى القبور ، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود ، ومن الأنس بالزوجات والأبناء والإخوان ، إلى مقاساة الهوام والديدان ، ومن التمتع بالطعام والشراب إلى التمرّغ في التراب ، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة ، ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل ، إنه قدر الجبار المنتقم ، فيا لله كم أفنى من الأمم؟!! ﴿ **هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا** ﴾ [مريم : ٩٨].

الموت .. مخلوق غامض غريب ، احتار الناس في أمره ، وعجز الأطباء في دفعه . شجاع يتسلق الجدران ، ويصعد الحيطان ، ويجوب الفيافي والقفار ، ويعبر البحور والأنهار ؛ لا يحُتمى منه بقلاع ، ولا يمتنع منه بحصون ، ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ** ﴾ [النساء : ٧٨] ، لا يُخلِّص منه المهرب ، ولا ينجي منه الفرار ﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي**

تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾ [الجمعة : ٨].

الموت .. زائرٌ لا يستأذن ، وضيف لا يعرف المجاملة ، وباطش لا ترده الواسطة . يستوي عنده الكبير والصغير ، والأمير والحقير ، والغني والفقير ، والملك والمملوك . ليس لزيارته موعد محدد ، ولا لقدومه زمن معين ، ولا لهجمته وقت معلوم ؛ يدلف في السحر ، ويقدم في الظهيرة ، ويبهت في الغفلة ، ينزل الراكب من على دابته ، ويبطش بالملك على كرسيه ، ويختطف الوالد من بين ذويه ، والصبي من يد والديه ، لا يمهل المفرط حتى يتوب ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ ...﴾ [النساء : ١٨] ولا يرجيء الجائع حتى يشبع ، ولا العطشان حتى يشرب ولا المسافر حتى يعود إلى أهله ، ولا النائم حتى يفيق ، ولا الصغير حتى يكبر ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل:٦١].

يأخذ العريس في ليلة عرسه ، ويختطف الحسناء في يوم زفافها ، ويقبض صاحب المنصب في أول أيامه وأولى ساعاته . يحول الأفراح إلى أتراح ، والسعادة إلى شقاء ، وأيام الأنس إلى نكد ، وليالي الفرح إلى مآتم ، والضحك العريض إلى بكاء مرير ، والزغاريد إلى وَلْوَلة . بينما الأم قد حضرت طعامها ، وهيأت نفسها ، وبشرت أبناءها بقرب قدوم أبيهم إذا بالخبر المفزع ، والنبأ الفاجع : مات الأب! ، فترملت الأم ، ويتّم الأبناء . وبينما الوالدة تنتظر قدوم ولدها الغائب، وابنها الحبيب ، تتشوق إلى رؤيته ، وتتطلع إلى احتضانه إذا بالخبر الأليم ، والنبأ

العظيم: مات الولد الحبيب !! .

الموت .. قدومه فاجعة ، وهجمته قارعة ، وزيارته صاعقة ، ونزوله مصيبة ﴿ .. إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ [المائدة:١٠٦] فالموت مصيبة كبرى ، وداهية عظمى . ولكن الأعظم من ذلك نسيانُه ، والأشنع من نزوله الغفلةُ عنه ، والأصعب من لقائه عدمُ الاستعداد له ، قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام : ٦١].

لقد شُغل الناس عن ذكره ، وتغافلوا عن خَطْبه ، غرّتهم الحياة ، وألهاهم الأمل ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ .

[الحجر : ٣]

من كان حين تصيب الشمس جبهته
أو الغبار يخاف الشَّين والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشاشتُه
فسوف يسكن يوماً راغماً جدثا
في قعر مظلمةٍ غبراء موحشةٍ
يطيل في قعرها تحت الثرى اللبثا
تجهزي بجهازٍ تبلغين به
يا نفس قبل الردى لم تخلقي عبثا

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ

صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون : ٩٩].

لقد شغلتنا مباهج الحياة ، وألهتنا زينة الدنيا ، وغرّتنا أموالنا وأهلونا ومناصبنا عن تذكر الموت الذي لا بد من لقائه ، والكأس الذي لا مناص من شربه ، والثوب الذي لا مفرّ من لبسه . لقد أصبحنا اليوم نضيق ذرعاً بمن يذكرنا الموت ، ويحذرنا الفناء ، ويخوّفنا مرارة اللقاء . نحمل الميت على أكتافنا ونحن في غفلة عن هذا المصير ، فيد تحمل النعش والأخرى تتصل بالجوال وتتابع الأعمال ، وبعضهم يمشون في الجنازة وهم يحسبون الحسابات ، ويستبشرون بالتركات . لقد بلينا في هذا الزمن بما لم يبتل به غيرنا ، ولم يعرفه سوانا من الأمم السابقة ، من مغريات لا تحصى ، وملهيات لا تحصر ، وشهوات لا تنقطع ومهلكات لا ترتدع . شاشاتٌ مدمِّرة ، وقنوات هابطة ، يمسي البيت مؤمناً فيصبح معها فاسقاً ، وتنام الأسرة عفيفة شريفة ، فتستيقظ معها على فضيحة ، وتصحو على جريمة تُزين المعصية ، وتحبب الخطيئة ، وتهوِّن الخيانة ، و تنفر من الديانة ، وتدعو إلى السفور ، وتطبل للفجور ، وتصور الحياة بأنها الفرصة السانحة للانكباب على الشهوات ، والفوز بالملذات ، قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾ .

[النساء : ٢٧]

أيها الناس اتقوا الله ، اتقوا الله ، اتقوا الله ، ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ

﴿إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر : ٥٨].

خَيَّمَتْ الغفلة على القلوب ، وجثمت الصوارف على النفوس ، فلا عقل يتدبر ، ولا فكر يتأمل ، ولا قلب يخشع ، ولاعين تدمع ، ولا فؤاد يرجف . وجدير بمن يعلم أن الموت مصرعه ، والتراب مضجعه ، والدود أنيسه ، ومنكر ونكير جليسه ، والقبر مقره ، وبطن الأرض مستقره ، والقيامة موعده ، وفي الحشر موقفه ، وعلى رؤوس الخلائق تنشر صحيفته وعلى الصراط مروره ، وإلى الجنة أو النار مورده جدير به أن لا يكون له فكر إلا في ذلك ، ولا استعداد إلا لما هنالك ، ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ .

[الواقعة : ٩٥]

قال ﷺ : «أكثروا من ذكر هادم اللذات» [رواه الترمذي وابن ماجة] ، فهذا أمر من المصطفى ، ونداءٌ من الحبيب ، وتوجيه من المربي يأمر بالإكثار من ذكر الموت ، ليُنغص به لذات الحياة ، ويُكدر به مباهج الدنيا ، ويقطع به

الركون إليها . وتذكُّر الموت فيه تذكر لما بعده من أهوالٍ وشدائد ، وفظائع وعظائم ، ومخاطر وأهوال . فإذا أعجبتك نفسك فذكرها الموت ، وإذا لفت انتباهك جمال منظرك فذكره أنه طعام للدود . وإذا غرتك دارك الجميلة وامرأتك الحسناء ومنصبك العظيم فتذكر أنك مفارقهم ، وإذا دعتك النفس إلى المعصية ، وقادك الهوى إلى الشهوة فتذكر الموت .

سئل ﷺ من أكيس الناس ، وأحزم الناس ، فقال : «أكثرهم ذكراً للموت ، وأشدهم استعداداً للموت ؛ أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا ، وكرامة الآخرة» [رواه الطبراني وحسنه الالباني ، انظر الصحيحة ١٣٨٤] .

إذا نسيت الموت وشناعته ، والفراق وصعوبته ، وغرتك الحياة الدنيا ونعيمها ، فتذكر من سبقك بها ، وتلذذ بها ، وغره نعيمها ، وخدعه حسنها . هل خلد فيها ، هل دامت له؟ هل ذهب منها بشيء؟ تذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ، تذكر صورهم وكيف أخذهم الموت من مناصبهم وأحوالهم ، وكيف محا التراب محاسن صورهم ، وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم . وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم ، وضيعوا أموالهم ، وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم ، وانقطعت آثارهم ، وقد كانوا يؤملون في طول العيش والبقاء ، ونسوا أنهم زرع الفناء . ركنوا إلى قوة الشباب ومالوا إلى الضحك واللهو ، وغفلوا عن الموت وأهواله ، والقبر وأحواله . فإذا هم بعد القوة تهدمت أرجلهم ، وبعد النطق أكل الدود ألسنتهم ، وبعد الضحك أكل التراب أسنانهم . تذكر الموت قبل أن تندم فلا يفيدك ندمك ، وقبل أن تزل قدمك ،

ويسلمك أهلك وخدمك ؛ ويفارقك حبيبك وقريبك ، ويتخلى عنك ولدك ونسيبُك ؛ فلا أنت للدنيا عائد ، ولا في حسناتك زائد ، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة . لو أن أحداً سينجو من أهوال الموت لنجا منه سيد الأنبياء ، وإمام الأتقياء ﷺ ، لما حضرته الوفاة كان بين يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يده فيها ، ويمسح بها وجهه ، ويقول : « لا إله إلا الله إن للموت لسكرات » [رواه البخاري] ، وكان يقول ﷺ : « اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى » . [رواه البخاري]

ويروى أن موسى عليه السلام لما صارت روحه إلى ربه سُئل : يا موسى كيف وجدت الموت ؟ قال : وجدت نفسي كالعصفور حين يُقلى على المقلى وهو حي ، لا يموت فيستريح ، ولا ينجو فيطير .

ولما حضرت أبا بكر الوفاة ، قالوا له : ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك ، قال : قد نظر إليّ طبيبي ، وقال : إني فعال لما أريد .

ولما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال : « اللهم أمرتنا فأضعنا ، ونهيتنا فركبنا ؛ فلا بريءٌ فأعتذر ، ولا عزيزٌ فأنتصر ، ولكن لا إله إلا أنت ، وما زال يقولها حتى مات » .

ولما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال : أقعدوني ، فأقعد وبكى حتى علا بكاؤه ، ثم قال : يا رب ارحم الشيخ العاصي ، ذا القلب القاسي ، اللهم أقل العثرة واغفر الزلة ، وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ، ولا يثق بغيرك .

ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسّال يلوي ثوباً بيده ثم يضرب به المغسلة ، فقال : ياليتني كنت غسالاً آكل من كسب يدي يوماً بيوم ، ولم آلِ من أمر الدنيا شيئاً . وقيل له في مرضه : كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ ، قال : أجدني كما قال الله ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ** ﴾ [الأنعام : ٩٤].

ولما حضرت المأمون الوفاة افترش رماداً ، ووضع خده عليه ، وقال: يا من لا يزول ملكه ، ارحم من زال ملكه .

فاحذر يا عبد الله متحولك من دار مهلتك ، إلى دار إقامتك . يوم تمسي في قرار باطن الأرض بعد ظاهرها ، أعاذنا الله وإياك من سوء المصرع ، وضيق المضجع .

كان عمر بن عبد العزيز يجمع الفقهاء كل ليلة ، فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ، ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة . فَأكْثروا من ذكر هادم اللذات ، والجؤوا إلى رب الأرض والسماوات ، وكفى إغراقاً وانغماساً في أوحال الشهوات ، ولنعتبر بمن نشيعهم كل يوم من الأموات ولنتذكر حينما نحمل على الأعواد ، ونمسي أول ليلة في القبر في معزل عن الأهل والأولاد ، ويأتي منكر ونكير فيسألان وينتهران ، ثم تبلغنا صيحة الحشر ، ونفخ الصور ، وقيام الجبار لفصل القضاء ، وقد ظهرت الأسرار ، وأسعرت النار ، ووضعت الموازين ، وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم . فكم من مفتضح ومستتر ، ومن هالك وناجٍ ، ومن معذب ومرحوم ، نسأل الله تعالى الرحمة والعافية والسلامة ،،،

الجنة

الحديث عن محبوبة جذابة ، ومعشوقة خلابة ، فاتنة تفتّتت في حبها أكباد ، وأضنيت لنيلها أجساد ، تعبت لوصلها نفوس ، وتطايرت من أجلها رؤوس . خطبها أناس فلم ترض مهراً لها إلا دماءهم فبذلوها ، وطلب القرب منها فئام فاشترطت أرواحهم وأموالهم فأزهقوها .

بكت لرؤيتها عيون ، وسهرت لترقبها جفون ، أحبها المحبون حباً صادقا ، ويا لله كم رأينا لها عاشقا!! . تغنى المحبون بحبها فسرت أهازيجهم وعباراتهم وأشعارهم عطراً يضمخ هامة التاريخ . وتمنى العاشقون لقاءها فترجموا أمانيهم بطولات وتضحيات رصعت جبين الزمان بروعتها . فمن هي يا ترى تلك المعشوقة الغالية ؟!! إنها الجنة العالية!! .

الجنة . . وما أدراك ما الجنة !! الدار التي هيأها الله بفضله وجوده وكرمه وإحسانه ، هيأها وأعدها أجمل إعداد لعباده الصالحين ، وجنده الصادقين ، وأوليائه المخلصين .

فتعالوا بنا نعرض اليوم شيئاً من أوصاف الفاتنة ، ونسرد شيئاً من الحديث عن الغالية ، فمن أعد المهر فليتقدم ، ومن ملك الثمن فليبادر .

أخبر عنها الكبير المتعال الذي أنشأها وأعدها فقال : ﴿ يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ .

[الزخرف : ٧٤]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الدخان:٥٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإنسان : ٢١] .

ويقول ﷺ : « يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ، ولا يتغوطون ، ولا

يمتخطون ، ولا يبولون ، ولكن طعامهم ذلك جشاءٌ كرشح المسك يُلهمون التسبيح والتكبير كما يُلهمون النفس » [رواه مسلم].

ويقول ﷺ : « قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، واقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ » [رواه الشيخان].

ويقول ﷺ : « آنيتهم فيها الذهب ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان ، يُرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن ، ولا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلبٌ واحد يسبحون الله بكرةً وعشياً » [رواه البخاري ومسلم] .

ويقول ﷺ : « إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤةٍ واحدةٍ مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً ، للمؤمن فيها أهلون ، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً » [متفق عليه].

ويقول ﷺ : « إن في الجنة سوقاً يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال ، فتحثو في وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم حسناً وجمالاً ، فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم حسناً وجمالاً » [رواه مسلم].

ويقول ﷺ : سأل موسى ﷺ ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : أي رب ، وكيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟

فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل مُلْك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب ، فيقول : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فيقول في الخامسة ، رضيت ربي ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك ، فيقول : رضيت رب قال – أي موسى – : فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت ؛ غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها ، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر» [رواه مسلم].

تصور نفسك في الجنة ، تشرب من الحوض ، تصافح أبا بكر ، وتقبل عمر ، وتناجي عثمان ، وتتحدث مع علي ، وتجلس إلى سعد بن معاذ أو معاذ بن جبل أو ابن مسعود!! .

يقول ﷺ : «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة : فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك ، فيقول : هل رضيتم؟ فيقولون : ومالنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ ، فيقول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك ، قالوا : يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً» [رواه البخاري].

ويقول ﷺ : «إذا دخل أهل الجنة الجنة ، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم» [رواه مسلم].

اللهم إنا نسألك الجنة ونعيمها ، ونعوذ بك من النار وجحيمها ،،

من عشـــاق الجنـــة

أول من يدخل الجنة من البشر هو رسولنا محمد ﷺ .

يقول ﷺ : « أنا أول من يقرع باب الجنة » [رواه مسلم].

ويقول ﷺ : « آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت؟ فأقول محمد ، فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك » [رواه مسلم].

ويليه الصديق رضي الله عنه ، فهو أول من يدخل الجنة من أمة محمد ﷺ

ومن عشاق الجنة الذين قدموا لها أغلى الأثمان ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ﷺ : « رأيتني دخلت الجنة ، ورأيت قصراً بفنائه جارية ، فقلت : لمن هذا ؟ فقالوا : لعمر بن الخطاب ، فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك ، فقال عمر : بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار! » .

[رواه البخاري]

وأبو بكر وعمر – رضي الله عنهما – هما سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين .

والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة .

أما أفضل نساء أهل الجنة فهن : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت

محمد ﷺ ومريم بنة عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون .

ولا شك أن مريم عليها السلام هي سيدة نساء العالمين ، وأفضلهن على الإطلاق ، كما أخبر ﷺ ، وكما قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران : ٤٢] مريم نالت الدرجة الرفيعة في الجنة لأنها أحصنت فرجها ، وصدقت بكلمات ربها وكتبه ، وكانت من القانتين .

وآسية – امرأة فرعون – ، هان عليها ملك الدنيا ونعيمها ، فكفرت بفرعون وألوهيته المزعومة ، وكان يعذبها عذاباً شديداً ، يعذبها في الشمس ، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها . وكان فرعون يشد يديها ورجليها بالأوتاد ، وهي صابرة ، فرأت بيتها في الجنة فضحكت حين رأته ، فقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها ! إنا نعذبها وهي تضحك ، فقبض الله روحها في الجنة ورضي عنها .

وخديجة فازت بالجنة لأنها أول من آمن بالرسول ﷺ وصدقه وناصره وثبتت من غير شك ولا تردد . قال جبريل عليه السلام : يا رسول الله اقرأ على خديجة السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب . [مسند أحمد ٤/٣٥٥]

وفاطمة ابنة رسول الله ﷺ وريحانته ، الصابرة المحتسبة ، النقية الورعة ، المؤمنة الطاهرة .

ومن عشاق الجنة ، العشرة المبشرون بها رضي الله عنهم وأرضاهم

وممن قدموا مهوراً غالية لنيل الجنة ، أبو الدحداح رضي الله عنه ، يقول ﷺ : « كم من عذق في الجنة معلق لأبي الدحداح » [رواه مسلم]

كان لأبي الدحداح بستان في المدنية هو أفضل بساتينها ، وفيه ستمائه نخلة اسمه « بيرحاء » ، سمع قول الله تعالى : ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً** ﴾ [البقرة : ٢٤٥] ، فقال : يا رسول الله ، وإن الله عز وجل ليريد منا القرض؟! قال : نعم يا أبا الدحداح ، قال : أعطني يدك يا رسول الله ، فناوله يده قال : فإني قد أقرضت ربي عز وجل حائطي ، ثم ذهب إلى زوجه أم الدحداح ، فناداها يا أم الدحداح ، قالت لبيك ، قال اخرجي فقد أقرضته ربي عز وجل .

ومن عشاق الجنة أنس بن النضر رضي الله عنه ، استقبل المشركين في غزوة أحد ، ولقي سعد بن معاذ فقال له : يا سعد واهاً لريح الجنة ، إني أجدها من دون أحد ، فقاتل حتى قتل، ووجد به بضع وسبعون ضربة ، ولم تعرفه إلا أخته ببنانه .

ومن عشاق الجنة سعد بن الربيع ، قال زيد بن ثابت بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد أطلب سعد بن الربيع ، قال : فجعلت أطوف بين القتلى فأتيته وهو بآخر رمق ، وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم ، فقلت : يا سعد ، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : أخبرني كيف تجدك ؟ فقال : وعلى رسول الله ﷺ السلام قل له : يا رسول الله أجد ريح الجنة ، وقل لقومي الأنصار : لا عذر لكم عند الله إن خُلص إلى رسول الله وفيكم عين تطرف ، وفاضت نفسه

من وقته .

ومن عشاق الجنة خيثمة رضي الله عنه ، يقول : لقد أخطأتني وقعة بدر ، وكنت والله عليها حريصاً ، حتى ساهمت ابني في الخروج ، فخرج سهمه فرزق الشهادة . وقد رأيت البارحة ابني في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها يقول : الحق بنا ترافقنا في الجنة ، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً . وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته في الجنة ، وقد كَبِرت سني ورقّ عظمي وأحببت لقاء ربي ، فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ، ومرافقة سعد في الجنة . فدعا له رسول الله ﷺ بذلك فقتل بأحد شهيداً .

ومن عشاقها عمرو بن الجموح ، وكان أعرج شديد العرج ، وله أربعة شباب يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا ، فلما توجه إلى أُحد قال له بنوه : إن الله قد جعل لك رخصة ، فلو قعدت نحن نكفيك ، وقد وضع الله عنك الجهاد ، فأتى إلى رسول الله ، وقال : يا رسول الله إن بني هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك ، والله إني أرجو أن استشهد وأطأ بعرجتي هذه في الجنة ، فقال رسول الله : أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد ، وقال لبنيه : ما عليكم أن تدعوه ، لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة . فخرج مع رسول الله فقتل شهيداً .

رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم وجمعنا بهم في جنات النعيم إنه ولي ذلك والقادر عليه ،،،

وصايا للمسافرين

الإجازة هي الوقت الذي يحلو فيه السفر ، وتعذب فيه الرحلات ويجمل فيه المسير ، ولقد سبق لنا الحديث عن السفر ، وبيان حاجة المرء إلى الترويح ، ورغبة الإنسان في الترفيه ، وسبق التذكير بخطورة السفر إلى البلدان الكافرة ، أو الدول السافرة ، وأن الأهل والأبناء والبنات أمانة عظيمة يجب المحافظة عليهم مما يخل بدينهم ، ويشوش على أذهانهم ، ويفسد أخلاقهم ، أما السفر المحتشم ، والرحلات المؤمنة الآمنة التي تروح عن النفس بما لا يضر دينها ، وتبهج القلب بما لا يبغض خالقه ، فهي أمر مطلوب ، وعمل محمود .

ولكنني أحببت في هذه العجالة أن أذكر نفسي وإخواني في الحل والترحال ، والمكوث والانتقال ، ببعض الفوائد النافعة ، والوصايا الماتعة ، واللفتات الرائعة ، إنها بعض الفوائد التي يجب أن يستفيدها المسافر في سفره ، والمرتحل من رحلته .

الفائدة الأولى : لا تنس دعاء السفر ، فهو دعاء عظيم ، وحديث جميل ، ينزل على القلب برداً وسلاماً ، ويضفي على النفس طمأنينة .

الفائدة الثانية : اختيار الرفيق الصالح ، وقديماً قيل : « الرفيق قبل الطريق » ، إن اختيار الصحبة جزء من السفر ، ولذلك يجب على المسلم

أن يختار رفيقاً صالحاً وأخاً ناصحاً .

إذ المرء لم يرض ما أمكنه
ولم يأت من أمره أحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره
سيضحك يوماً ويبكي سنه

ويقال : إن السفر سمي سفراً لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ويكشفها على حقيقتها ، وإن صحبة النقي ومرافقته هي الفوز العظيم ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

الفائدة الثالثة : قراءة معاني الوحدانية في دفتر الكون ، ودراسة براهين العظمة في سفر الحياة .

وكتابي الفضاء أقرأ فيه
صوراً ما قرأتها في كتاب

يقرأ المسافر في دفتر الكون آيات البارئ ، وعظمة الواحد الأحد وبديع صنع الفرد الصمد .

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه واحد

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت : ٢٠] .

الفائدة الرابعة : أخذ العبرة من الأمم الغابرة ، والقرون السالفة ، فإن البشر مهما عاشوا ، والأمم مهما امتد بها الزمان فإن مصيرهم إلى الزوال ، ومآلهم إلى الفناء ﴿ **وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾ [الرحمن : ٢٧] ، ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴾ [الحج : ٤٦] ، فانظر كم من أمم عاشت قبلك ، وكم من قرون سبقتك ، ﴿ **كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ** ﴾ [الدخان : ٢٩] .

الفائدة الخامسة : رؤية مصارع الظالمين والجبابرة على مرّ العصور فإن لهم في الوحي أخباراً ، ولهم في الأرض آثار .

﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ** ﴾ [غافر : ٢١] فلا تخدعنك الأمم بحضارتها ، ولا تغرنك الدول بقوتها ، فإن الله جل وعلا أقوى من كل قوي ، وأعظم من كل عظيم ، وأعلم من كل عليم ، وهم جميعاً في قبضته ، وطوع أمره ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون .

الفائدة السادسة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

يجب أن يكون المؤمن كالغيث الهنيء ، أينما حل حل الأنس والرضا والنماء ، فإن لم يصل الأرض منه وابل فطل . المؤمن نور يضيء الطريق ، وهادٍ يهدي السبيل ، وعبير يزكو شذاه ، وفيض يعم نداه ، أينما ذهب ، وحيثما انتقل ، فهو يحمل قلباً مؤمناً ، ونفساً خيِّرة ، وفكراً نيراً ، وفؤاداً غيوراً ، يأمر بالمعروف قدر طاقته ، وينهى عن المنكر ما أمكنه ، يغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ، أما الذي ينطلق في الدنيا ، ويسيح في الأرض ، فيرى المنكرات العظيمة ، والمعاصي الكبيرة ، والمخالفات المتعددة ، ثم لا قلب ينكر ، ولا لسان ينطق ، ولا وجه يتمعر ، فأي مؤمن هذا . روي عنه ﷺ قوله : « والذي نفسي بيده لتأمرُن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ، لتدعُنَّه فلا يستجيب لكم » .

[صحيح الجامع : ٧٠٧٠]

الفائدة السابعة : شكر الله جل وعلا على نعمه : نعم الله كثيرة وآلاؤه كبيرة ، وعطاؤه عظيم ، وكرمه عميم ، ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾ [إبراهيم : ٣٤] وإن من أعظم النعم التي يجب أن يتذكرها المسافر ما أفاء الله على عباده من أسباب الراحة ، ووسائل السفر ، كان الآباء والأجداد يقطعون بعض المسافات في شهر أوأشهر مع ما يلحقهم من النصب ويعتريهم من التعب ، ونقطعها نحن في ساعات معدودة ، في جوٍّ آمن ، وظل ظليل ، وأكل لذيذ ، وشراب سائغ ، يحدثني بعض كبار السن في مخيم من مخيمات الحج ، كان

ينظر إلى ما يرفل فيه الحجاج من نعم ، وما يهنؤون به من راحة ، ثم دمعت عيناه ، وأجهش بالبكاء ، فسألته عن سبب بكائه ، فقال : يا ولدي تذكرت حالنا في العصور الخالية ، والأيام الماضية ، ثم نظرت إلى ما نحن فيه اليوم ؛ أذكر أنني في سنة من السنوات قدمت إلى مكة مع بعض رفقتي فمكثنا أياماً طويلة ونحن نمشي على أقدامنا ، فلما بقي بيننا وبين مكة مسيرة يوم تقريباً ، كدنا نهلك من الجوع ، وكاد يقتلنا الظمأ ، فأخذنا نتلمس الأخبار ، ونتأمل في الديار لعلنا نجد ماءً ، أو نعثر على بئر فلم نجد شيئاً فمضينا نجتر الخطا ، وقد كادت تزهق أرواحنا من الظمأ ، فإذا بنا نرى الطير تحوم على مكان علمنا أن فيه ماءً ، فلما أتيناه وجدنا بئراً عميقة مخيفة مظلمة ، تنبعث منها رائحة كريهة ، فربطنا ما معنا من ملابس وأردية ، ربطناها بعضها ببعض في دلوٍ معنا ، وأنزلناه في البئر فلما نزعناه فإذا به ماء أسود كريه الرائحة ، قد اختلط بالضفادع والهوام والطين ، والله لو رآه أهل هذا المخيم لانقلبت نفوسهم جميعاً ولكننا تسابقنا في شربه وكأنه الماء الزلال ، فانظر اليوم إلى هذا النعيم العظيم ، فالحمد لله على نعمه ، والشكر له على إحسانه وكرمه .

الفائدة الثامنة : صلة الأرحام ، والسؤال عن الأقارب ، وعيادة المرضى ، والجود والإحسان إلى من تجده من الفقراء ، وزيارة الإخوان في الله ، الصلة والزيارة اللطيفة الخفيفة الهانئة المسعدة ، ليست زيارة الإثقال والإرهاق والكلفة والعنت والمشقة ، والأرحام من وصلهم وصله الله ، ومن قطعهم قطعه الله .

والمريض من سافر لزيارته ، وذهب لعيادته فله الأجر العظيم ، يقول ﷺ : « من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه منادٍ أن طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلاً » [صحيح الجامع : ٦٣٨٧] .

والأخ الذي يزور أخاه في الله زيارة ليس وراءها منفعة ، ولا يقصد بها مصلحة ، وإنما هي المحبة في الله ، فإن الله تعالى يحبه كما أحب أخاه في الله .

الفائدة الأخيرة : يجب أن يكون المسلم ذا حسّ مرهف ، وشعور حي ، ووجدان يقظ ، يعيش الحياة ويسبر أغوارها ، ويتعامل معها تعامل العاقل الواعي المدرك المتأمل ، وإن المسلم يشعر بالانسجام مع كل من حوله حتى مع الجمادات « أحد جبل يحبنا ونحبه » [صحيح الجامع : ١٩١] ، وإن من أجمل ما يجب أن يعيشه المسلم في حياته : التأمل في الطبيعة والنظر في ملكوت الله .

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري
حتى أريك بديع صنع الباري
فالأرض حولك والسماء اهتزتا
لروائع الآيات والآثار

ليس للحياة قيمةٌ إذا اقتصرت على الماديات وانغمست فيها ، ولم تعبأ بروعة الطبيعة ، وأسرار الكون ، ولم تلتفت إلى جمال الأزهار ، وتألق النجوم ، وزينة السماء ، وخرير الماء ، وعظمة الجبال ، وأسرار

الوهاد . إن العاطفة هي ملح الحياة ، وبها يدرك الإنسان أسرار الوجود وباطن العالم .

﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية : ١٧ - ٢٠].

إن من فوائد السفر التمتع بمظاهر الطبيعة الخلابة ، ومباهجها الجذابة ومياهها المنسابة ، فالمسافر يتأمل الجبال الشاهقة ، والأعلام الشامخة ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾، فيخلب لبّه تركيبها البديع ، وشأوها الرفيع ، يتأمل صخورها العملاقة ، وتروقه ألوانها الزاهية ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾.

[فاطر : ٢٧]

هذه جبال معممة بالثلوج ، وأخرى مكسوة بالأشجار ، وتلك صخرية جرداء ، جبالٌ تفتن النظر بجمالها وعظمتها ، وتعاريجها وارتفاعها ، في أعاليها يتعانق السحاب ، وفي هيكلها تتلون الصخور ، وفي باطنها المناجم تعجّ بالخير ، وفي أسفلها الوديان تموج بالحياة ، ثم هي تشمخ بقممها كأنما تريد أن تناطح السماء .

وبينما المسافر كذلك إذا به يتخطاها إلى سواها ، ويجاوزها إلى غيرها، يُودعها ليمرّ بالمروج الخضراء والحدائق الغناء .

وأطلق الطير فيها سجع منطقه
ما بين مختلف منه ومتفق

والظل يسـرق بين الدوح خطوته
وللمياه دبيب غير مستـرق
وقد بدا الورد مفتراً مباسمه
والنرجس الغض فيها شاخص الحدق

والمسافر يمتع ناظريه بالأشجار المثمرة ، والورود المزهرة ، يعبر الوادي الجميل ، وقد اشتبكت أشجاره ، ولاحت ثماره ، من أحمر وأصفر وأزرق وأخضر وغيرها ، وبين ذلك أنواع الرياحين والزهور والورود ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الانعام : ٩٩].

إن الثمار والأزهار عالم عجيب غريب ، وهي عالم وحده ، كعالم الطيور ، وعالم الإنسان ، تتعدد مناظرها ، ويتنوع جمالها ، وتتفاوت من حيث روائحها . .

يتأمل المؤمن الطبيعة وجمالها فيذكره ذلك بالجنة ونعيمها ، وما أعد الله لعباده فيها ﴿ **مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ** ﴾ [محمد :١٥].

إذا رأيت الأنهار المنسابة ، والبحار العظيمة ، فتذكر قوله ﷺ : « إن في الجنة بحر الماء ، وبحر العسل ، وبحر اللبن ، وبحر الخمر ، ثم تشقق

الأنهار بعد » [صحيح الجامع : ٢١٢٢] .

ثم يجاوز المسافر ذلك ليمر بالصحاري الواسعة ، والوهاد الشاسعة ، يتسلى بمطاردة السراب حين يتراءى أمامه على بعد وكأنه الماء الزلال حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً فيثير عنده ذلك المثل العجيب الذي ضربه الله تعالى لأصحاب الأعمال الخاسرة الذين عملوا أعمالاً كثيرة فظنوا أنها تنفعهم فلم تُغن عنهم من الله شيئاً لأنهم كفروا بالله ورسوله : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [النور : ٣٩] .

وللصحراء جمالها الساحر ، سكون عميق يهدّئ الأعصاب ، وصفاء جو ينعش النفس ، وأُنسٌ بالطبيعة كما خلقت ، وجوٌّ فسيح طليق تتجاوب فيه الرياح ، فلا يحبسها بناء ، وشمس تسطع فلا يقيدها قيد .

ولا يزال المسافر الواعي صاحب الضمير الحي والخيال الواسع ، والأفق البعيد ، يتنقّل في سفره بجسمه وروحه ، وقلبه وعقله ، فقد يكون مسافراً من طريق البحر ، فيتأمل عظمته ، ويتدبر هيبته ، ويتفكر في عجائبه ، ويتعوذ من مخاطره ، ويتأمل في المخلوقات التي تعيش فيه ، والسفن والبواخر التي تمخر عبابه ﴿ **وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [النحل : ١٤] .

وقد يكون السفر عن طريق الجو . . والمسافر في الجو يساومه الموت ، ويداعبه الهلاك ، ينظر في الأرض فإذا هي في نظره أبعد من السماء ،

وينظر في السماء فإذا هو قد جاوز السحاب . مصيره فوق قطعة من حديد ، ونهايته في هزة مسمار ، إن وقع صار شذر مذر لا جبل يحمله ، ولا نهر يزفّه ، ولا رابيةٌ تقلّه .

يتأمل المسافر في الجو عظمة هذا الفلك الذي يسبح فيه ، وكم فيه من عجائب ، يتأمل في عظمة الشمس التي هي أكبر من الأرض بآلاف المرات ، ويقول العلماء يمكنك أن تحشو الشمس بمليون وثلاثمائة ألف كرة أرضية . ويتأمل القمر ، وهو يبعد عن الأرض بأقل من ربع مليون ميل ، ويتأمل النجوم ، وهي ملايين مملينة ، قدّر أحد العلماء عددها بأنه يزيد على عدد حبات الرمال المنتشرة على شواطىء جميع بحار الدنيا ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ، وإليه ترجعون .

من أحـــوال الخاشعـــين

سير العظماء تبعث الهمم ، وأخبار النبلاء توقظ العزائم ، وأحوال السبّاقين توقظ الغافلين ، هنالك نماذج رفيعة ، وقدوات شامخة . أخبارهم عطرة ، وسيرهم مبهجة ، وحياتهم مذهلة ، أخمصوا البطون عن مطاعم الحرام ، وأغمضوا الجفون عن مناظر الآثام ، وحفظوا الألسنة عن فضول الكلام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، وصاموا فأحسنوا الصيام ، فعلنا نبهج القلوب بشيء من أخبارهم ، ونوقظ العزائم بتأملٍ لأحوالهم ، ونبث في الأرجاء عبقاً من عطر آثارهم .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٦٠] .

قالت عائشة – رضي الله عنها – : يا رسول الله ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر ، وهو يخاف الله عز وجل ، قال : « لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » [أخرجه الترمذي] .

فانظر إلى هذا الوصف الذي وصف به المولى هؤلاء الناس ، فهو

وصف يثير العجب ، ويبعث الاستغراب ، ويدعو إلى التساؤل . فهم يبذلون ويعملون ويؤتون ويجتهدون ، ومع ذلك قلوبهم وجلة ، وأفئدتهم خائفة ، وكان المتوقع أنهم يعيشون بنفوسٍ مطمئنة ، وأفئدة سالية فرحاً بما قدموا ، واتكالاً على ما بذلوا ، وسروراً بما عملوا . فلماذا وجلت قلوبهم ، وارتعدت فرائصهم؟ ، لأنهم أيقنوا أنهم إلى ربهم راجعون ، فهم يتذكرون هول المطلع عليه ، وعظمة الموقف بين يديه ، آمنوا بعظمته ، وأيقنوا بجلاله ، ونظروا إلى نعمه ثم نظروا إلى أعمالهم وضآلتها ، وجهودهم وقلتها ، ثم هي قد لا تسلم من خلل ، ولا تنجو من زلل ، ولا تصفو من رياء ، فكان الوجل طريقهم إلى الاطمئنان ، والخوف موصلهم للأمان ، والإشفاق قائدهم لرضا الخلاق ، فسماهم المسارعين ، ووصفهم بالسابقين . وإن الخوف سمة المؤمنين ، وعنوان المتقين الذين وصفهم الله بقوله : ﴿**الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ**﴾ [الانبياء : ٤٩] ، وقال تعالى عن المؤمنين في الجنة : ﴿**قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ**﴾ [الطور : ٢٧] ، وبين أن من صفات المؤمنين أنهم ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [السجدة : ١٦] .

فهذا هو حال المؤمنين ، وديدن المتقين ، وطريق المجتهدين ، وأسلوب الطائعين .

إذا ما الليل أظلم كابدوه
فيسفر عنهمُ وهمُ ركوعُ

أطار الخـــوفُ نومَـــهُمُ فـــقـــامـــوا
وأهـلُ الأمـن فـي الـدنيـــــا هـجـــــوعُ

فالمؤمن لا يُدِلُ بأعماله ، ولا يباهي بأفعاله ، بل يخشى ويخاف ، ويخشع ويتذلل ، يجتهد وهو على وجل ، ويعمل وهو في حذر ، وذلك هو ديدن السلف ، وهو الذي افتقده الخلف . فقد كانوا فرساناً بالنهار ، رهباناً بالليل ، قدموا لله أرواحهم ، وبذلوا في سبيله أنفسهم ، وصفت له سرائرهم ، وأشرقت بحبه قلوبهم ، ودمعت من خشيته أعينهم ؛ عملوا بالكتاب ، واتبعوا الرسول ، واجتهدوا في الطاعة ، ومع ذلك أطار الخوف قلوبهم ، وأسهر الإشفاق أعينهم ، وأقضّت النار مضاجعهم ، ثم انظر في أحوال كثير من الناس اليوم ، قلة في الطاعة ، وتقصير في العبادة، ومخالفة للسنة ، ومقارفة للمعاصي ، ومنادمة للخطايا ، ثم لا عينٌ تدمع ، ولا قلبٌ يخشع ، ولا خوفٌ يردع ، ولا تذكّرٌ لهول المطلع! .

فإليك الآن نماذج من أحوال الخاشعين ، ومقاطع من أخبار الخائفين ، وروائع من سير السابقين :

فـتـشـبـهـوا إن لم تكونوا مـثـلَهم
إن الـتـشـبـه بـالـكـرام فـلاح

* كان ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام ، فقال : « يا أيها الناس اذكروا الله ، جاءت الراجفة ، من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ،

جاء الموت بما فيه » [رواه الترمذي وأحمد] .

* وكان ﷺ كثير الصيام ، وقد كان يظل اليوم الطويل في الحر الشديد صائماً ، وكان – أحياناً – يواصل صيامه ، وذلك خاصة بالنبي ﷺ ، ولقد كان يقوم الليل حتى تفطرت قدماه .

وتقول عائشة – رضي الله عنها – ، قام ﷺ ليلة من الليالي ، فقال : « يا عائشة ذريني أتعبد لربي » ، قالت : والله إني لأحب قربك ، وأحب ما يسرُّك ، قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يصلي فلم يزل يبكي حتى بل حجره ، ثم بكى ، فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، وجاء بلال يؤذن بالصلاة فلما رآه يبكي ، قال : يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكورا ، لقد نزلت عليّ الليلة آياتٌ ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[آل عمران : ١٩١] » . [الصحيحة : ٦٨]

* وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً أسيفا ، إذا صلى بالناس لا تُكاد تسمع قراءته من كثرة بكائه وخوفه من ربه جل وعلا .

* وكان في وجه عمر خطان أسودان من كثرة البكاء ، وكان يُسْمَع بكاؤه من آخر الصفوف ، وسمع قارئاً يقرأ قوله تعالى : ﴿**إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ**﴾ [الطور : ٧] فسقط مغشياً عليه ، وبقي أياماً مريضاً يزوره الناس ، وكان إذا أظلم عليه الليل يضرب قدميه بالدرة ، ويقول لنفسه : ماذا

عملت اليوم يا عمر؟ ، وكان ينعس وهو قاعد ، فقيل له : ألا تنام يا أمير المؤمنين؟ قال : «إذا نمت الليل ضيعت حظي مع الله ، وإذا نمت النهار ضيعت رعيتي» وحين حضرته الوفاة يقول لابنه : «ضع خدي على التراب عل الله أن يرى حالي فيرحمني» .

بكى عمر الفاروق خوفاً وخشية
وقد كان في الأرض الإمام المثاليا
وقال بصوت الحزن يا ليت أنني
نجوت كفافاً لا عليَّ ولا ليا

* وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يصوم النهار ويقوم الليل ، وكان إذا وقف على قبر يبكي حتى تخضل لحيته من البكاء ، وكان يذكر عنده الموت والجنة والنار أحياناً فلا يبكي ، فسئل عن ذلك فقال ، قال ﷺ : «ما رأيت منظراً قط إلا القبر أفظع منه» [رواه الترمذي] ، وقد روي عنه رضي الله عنه أنه ما اغتسل مرة واحدة واقفاً بل كان يغتسل جالساً حياء من الله جل وعلا .

* أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد كان صواماً قواماً فارساً بالنهار ، راهباً بالليل . صلى صلاة الفجر في يوم من الأيام فجلس حزيناً مطرقاً ، فلما طلعت الشمس قبض على لحيته ، وبدأ يبكي ويبكي ثم قال : لقد رأيت أصحاب النبي ﷺ فما رأيت شيئاً يشبههم ، كانوا يصبحون شعثاً غبراً صفراً بين أعينهم كأمثال ركب المعزى من كثرة السجود ، قد باتوا لله سجّداً وقياماً يراوحون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا طلع الفجر ذكروا

الله فمادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهطلت أعينهم بالدموع والله لكأنّ القوم باتوا غافلين .

وكان رضي الله عنه يستأنس بالليل وظلمته ، فإذا أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، يميل في محرابه قابضاً على لحيته ، ويتململ تململ الملدوغ ، ويبكي بكاء الحزين ، وينادي : يا ربنا .. يا ربنا .. يا ربنا .

وقد وصف المتقين بقوله : « ألا إن عباداً كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين ، وأهل النار في النار معذبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة ، صبروا أياماً قليلة ، لعقبى راحة طويلة ، أما الليل فصافون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم ، يجأرون إلى الله في فكاك رقابهم ، وأما النهار فظماء حُلماء بررة أتقياء » .

* أما عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقد كان صائماً ثم أُتي بطعام فقال : قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه ، وهو خير مني ، فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة إن غطي بها رأسه بدت رجلاه ، وإن غطي بها رجلاه بدا رأسه ، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط . قد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام .

وأُتي له بعشائه رضي الله عنه في يوم من الأيام ، وكان صائماً ، فقرأ قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [المزمل : ١٣] فلم يزل يبكي حتى رفع طعامه وما تعشى .

* ولما حضرت أبا هريرة رضي الله عنه الوفاةُ بكى ، فقيل له: ما يبكيك ، فقال : والله ما أبكي على دنياكم ، ولكن أبكي لبعد المفازة ، وقلة الزاد، وعقبة كؤود ، وأنني أصبحت في صعود المهبط منه ، إما إلى جنة وإما إلى نار .

* أما تميم الداري رضي الله عنه فكان من العباد الصوام القوام ، وقد قام الليل كله بآية واحدة حتى أصبح ، وهي قوله تعالى : ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ ، وقد سأله رجل عن قيامه بالليل ، فغضب غضباً شديداً ، ثم قال : « والله لركعة أصليها في جوف الليل في السر أحب إليّ من أن أصلي الليل كله ثم أقصه على الناس » .

* وتقول امرأة عمر بن عبد العزيز – رحمه الله ورضي عنه – قد يكون في الرعية من هو أكثر صلاة وصياماً من عمر ، ولكن ليس فيهم من هو أشد خوفاً وبكاءً من عمر ، كان إذا صلى العشاء الآخرة جاء إلى بيته فألقى بنفسه في محرابه فلا يزال يبكي حتى يطلع الفجر .

بكى ليلة من الليالي بكاءً شديداً ، فبكت زوجه لبكائه ، ثم سمع أهله البكاء فبكوا كلهم لبكاء عمر ، فسمع الجيران البكاء فبكوا ، وهم لا يدرون ما الذي يُبكي عمر ذلك البكاء ، والذي كاد يودي بحياته ، فلما سكن وهدأ قيل له : يا أمير المؤمنين ما الذي أبكاك فوالله لقد أشفقنا عليك؟ ، قال : تذكرت يوم القدوم على الله ، ومنصرف الناس بين يديه ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، ولا أدري أين يُذهب بي،

حتى كأن النار ما خلقت إلا له . وقيل عن عمر لم يُرَ مثلُ خوفه .

* وكان الحسن البصري – رحمه الله – ورضي عنه صائماً فجيء له بكوزٍ من الماء ليفطر عليه ، فلما أدناه إلى فيه بكى ، وقال : ذكرت أمنية أهل النار وقولهم ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ [الاعراف : ٥٠] وكان يقول : إن المؤمنين قوم ذلّت والله منهم الأسماعُ والأبصارُ والأبدانُ حتى حسبهم الجاهل مرضى ، وهم والله أصحابُ القلوب ألا تراه يقول : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ [فاطر : ٣٤] ولقد كابدوا في الدنيا حزناً شديداً أبكاهم وأحزنهم وهو الخوف من النار .

ويقول : والله ما صدّق عبد بالنار قط إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وإن المنافق لو كانت النار خلف ظهره لم يصدق بها حتى يهجم عليها .

* وذلك الفضيل بن عياض – رحمه الله – ، يقول إبراهيم بن الأشعث : ما رأيت أحداً كان خوف الله في صدره أعظم من الفضيل ، كان إذا ذَكَر الله أو ذُكِر عنده أو سمع القرآن ظهر به خوف ، وحزنٌ شديد ، وفاضت عيناه ، وبكى حتى يرحمه من يحضره ويشفق عليه وكنا إذا خرجنا معه في جنازة لا يزال يعظ ويذكر ويبكي بكاءً شديداً وكأنه ذاهب إلى الآخره ، وكان يقول : رهبة العبد من الله على قدر علمه بالله ، وزهادته في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة.

روي أنه رؤي يوم عرفة والناس يدعون ، وهو يبكي بكاء الثكلى

المحترقة ، حتى إذا كادت الشمس أن تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه إلى السماء ، وقال : واسوأتاه منك وإن غفرت! .

* وكان منصور بن المعتمد – رحمه الله – محباً للصيام والقيام حتى عاتبته أمه ، وقالت له : يا بني إن لعينيك عليك حقاً ، فلماذا لا تنام ؟، فقال لها : اتركيني فإن بين النفختين نوماً طويلاً ، ولقد صام ستين سنة يقوم ليلها ، ويصوم نهارها .

وكان أبو عثمان النهدي – رحمه الله – صواماً قوّاماً ، يسرد الصوم ، ويقوم الليل ولا يتركه ، وكان يصلي حتى يُغشى عليه ، رحمهم الله جميعاً رحمةً واسعة ، وجمعنا بهم في جنات النعيم .

لقد كان السلف الصالح يجتهدون في الأعمال الصالحة وقلوبهم وجلة ، وكانوا يتنافسون في أعمال البر حذراً من لوم النفس عند انقطاع العمل على التقصير ، قيل لمسروق – رحمه الله – : لو قصرت عن بعض ما تصنع من الاجتهاد ، فقال : والله لو أتاني آت فأخبرني أنه لا يعذبني لاجتهدت في العبادة ، حتى تعذرني نفسي إن دخلت النار أن لا ألومها، أما بلغك قول الله تعالى ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة : ٢] ، إنما لاموا أنفسهم حين صاروا إلى جهنم فاعتنقتهم الزبانية ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، وانقطعت عنهم الأماني ، ورفعت عنهم الرحمة ، وأقبل كل امرئ يلوم نفسه .

وكان عامر بن عبد قيس يقول : والله لأجتهدن ، ثم والله لأجتهدن،

فإن نجوت فبرحمة الله ، وإلا لم ألم نفسي .

فهذا حال السلف الصالح ، وذلك هو الطريق الرابح ، أعمال جليلة ، وعبادة عظيمة وخشوع وخضوع ، مع خوف ووجل وإشفاق وخشية ، ولكن ﴿ **إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ** ﴾ [الرعد : ٢١] .

تتجافى جنوبهم ... عن وطيء المضاجع
كُلّهم بين خائفٍ ... مستجيرٍ وطامع
تركوا لذة الكرى ... للعيون الهواجع
ورعوا أنجم الدجى ... طالعاً بعد طالع
واستهلت عيونهم ... فائضات المدامع
ودعوا يا مليكنا ... يا جميل الصنائع
أُعف عنا ذنوبنا ... للعيون الدوامع
أُعف عنا ذنوبنا ... للوجوه الخواشع
أنت – إن لم يكن لنا ... شافعٌ – خيرُ شافع

فلنشمر ولنجتهد ، ولنعمل ولنبذل ، ولنستمر على الطاعة ، ولنداوم على العبادة ، ولنواصل في الخير . ولنحفظ صيامنا ، ولنحسن قيامنا ، ولنخرج زكاتنا ، ولنكثر صدقاتنا ، نسأل الله تعالى أن يرزقنا خشيته ، وأن يعمر قلوبنا بخوفه ، وأن يوفقنا لطاعته ، وأن يؤمن خوفنا يوم لقياه .